مظاهر الحب من وجهة نظر ملاصدرا والإمام الخميني (ره)

مهناز كعيان حسيني
طالبة بقسم اللاهوت والدراسات الإسلامية - دكتوراه في التصوف الإسلامي وخواطر الإمام الخميني (ره) - فرع الأهواز - جامعة آزاد الإسلامية - الأهواز - إيران
Mahnaz.k.hosseyni@gmail.com
الدكتورة مريم بختيار (الكاتبة المسؤولة)
الأستاذة المشرفة - أستاذ مساعد وعضو هيئة تدريس بقسم اللاهوت والدراسات الإسلامية - دكتوراه في التصوف الإسلامي وخواطر الإمام الخميني (ره) - فرع الأهواز - جامعة آزاد الإسلامية - الأهواز - إيران
Bakhtyarmaryam@yahoo.com

Manifestations of love from the perspective of Mulla Sadra and Imam Khomeini

Mahnaz.kayan.hosseyni1
Student in Islamic Theology and Education , PhD in Islamic Sufism and Imam Khomeini's Thoughts , Ahwaz Branch , Islamic Azad University, Ahvaz , Iran
Maryam. bakhtyar
Assistant Professor and Academic Member of the Department of Theology and Islamic Studies , PhD in Islamic Mysticism and Imam Khomeini's Thoughts , Ahvaz Branch , Islamic Azad University , Ahvaz , Iran (Supervisor professor and writer Almswol)

الملخّص :

الحب هو واحد من أهم الركائز الأساسية و ربما أهم عنصر في التفكير التصوف الإسلامي. الحب بأيّ شكل و لون، مقدّس لمجموعة من الصوفيين. ليس الحب الحقيقي فقط هو حب العاشق الحقيقي، و لكن أيضاً الحب الإفتراضي المقدس بالنسبة لهم. هذا هو السبب في أنّ الصوفيين لم يرفضوا الحبّ الظاهري تماماً و قد تعامل معه أناس عظماء مثل ملاصدرا شيرازي و الإمام الخميني بطرق مختلفة. اعتبر صدر المتألهين الشيرازي، بناءً على مبادئه الوجودية في الحكمة السامية، الحبّ مساوياً للوجود و اعتبره جارياً من حيث مستويات الوجود في جميع جزيئات العالم. يعتبرُ الحبّ طريق الوجود البشري و إجدي المدخلات الإلهية في الطبيعة البشرية و يعتبره مليئاً بالحكمة و المصلحة. يبدو أنّ الإمام الخميني (ره) استخدم أيضا أفكار ابن عربي و ملاصدرا، و يعتزم تقديم تفسير صوفي شيعي لفئة الحب، و الحب البشري و الإلهي مع ميل الشيعة الإماميين و الإنتباه إلى التصوف العملي و حتى أمثلة على البشر المثاليين، أن يكون أكثر انسجاماً مع واقع الوجود الموضوعي. بالإضافة إلى ذلك، يحاول كلاهما امتلاك المحتوى الخاص بهما في مقاربتهما لموضوع «حب» المعايير الدينية، في تفسيرهما الصوفي و الفلسفي. يرتبط موضوع الحب بشكل عام، في الفلسفة و النهج الغامض لملاصدرا و الإمام الخميني ارتباطاً وثيقاً ببعضهما البعض و على الرغم من بعض الإختلافات الواضحة بين فلاسفة الحب، فقد أقاما علاقة لا يمكن فصلها و حكما على مظاهر الحب و الحب الحقيقي و الله. في هذا المقال، أثناء فحص مظاهر الحب و الجمال و علاقته بالله في سيرة كل من الصوفيين العظيمين في العالم الشيعي، نقارن بين هذين الرأيين لكشف الاختلافات و التشابهات بين هذين الرأيين.

الكلمات الرئيسية: الله، الحب، مظاهر الحب الحقيقي، التصوف، جمال الحب

Abstract:

One of the most important and main pillars and perhaps the most important element of thought in Islamic mysticism is love. Love in any form and color is sacred to a group of mystics. It is not only true love that is the love of the true lover, but also virtual love that is sacred to them. That is why mystics have not completely rejected virtual love and great people such as Mulla Sadra Shirazi and Imam Khomeini have dealt with it in various ways in their works. Meanwhile, Sadr al-Mutallahin Shirazi, based on his ontological principles in transcendent wisdom, has considered love as equal to existence and has considered it in terms of the levels of existence in all particles of the current and current world. He considers love as the way of human existence and divine inputs in human nature and considers it full of wisdom and expediency. Paying attention to practical mysticism and even examples of perfect human beings, offer a mystical-Shiite interpretation of the concept of love, human and divine love that is more in line with the reality of objective existence. In addition, both are trying to have their own content in their approach to the subject of "love" of religious criteria, in their mystical and philosophical interpretation. In general, the subject of love in the philosophy and mystical approach of Mulla Sadra and Imam Khomeini are deeply connected with each other, and despite some apparent differences between the two philosophers of love, they established an inseparable relationship and a ruling of the manifestations of love, true love and God. The article examines the manifestations of love and beauty and its relationship with God in the biography of each of the two great mystics of the Shiite world and compares these two views to reveal the differences and similarities between these two views.

Key words: love, fronts of true love, God, mysticism, the beauty of love

المقدمة

على الرغم من أن الكثير قد قيل عن الحب و حاول بعض العلماء و المفكرين وصفه و تفسيره بأسلوبهم و ذوقهم الخاص، لكن معظمهم اعتبروا حقيقة الحب غير قابلة للتعريف و اعتبروا الحب جوهراً نقياً لا يمكن أن يكون تمّ تقسيمها إلى فئات و اعتبر لهذا الجنس و الفصل. (التهانوي،ج٢: ١١٨٢)

من وجهة النظر هذه، لا يمكن تعريف الحبّ و المودة منطقيًا ، و يمكن وصفها و التحدث عنها فقط بناءً على ذوق الشخص و إدراكه. لذلك، فإن الحديث عن مستوياته سيكون وسيلة لفهمه بشكل أوضح. ما هو مؤكد هو أن الإنسان يمتدح المحبة، أي أنه يعتبرها شيئاً جديراً بالثناء، في حين أن ما هو فئة من الشهوات لا يستحق الثناء. في التعبير عن تعريف الحب و شرح ما هو عليه، كان هناك الكثير من الحديث بلغة أهل الحكمة و التصوف، و قدم الجميع تعريف «الحب» على أساس رؤاهم الحكمية و الصوفية.

لقد تحدث كل من علماء شيراز قبل ملاصدر الشيرازي، مثل بوعلي سينا (ابن سينا، ١٣٧٥ : ٣٦٠)، و خواجة طوسي، و الشيخ إشراق (سهروردي، ١٣٧٢، ،ج٣ : ٢٨٧)، في شرح الحب و مكانه في الكون، و اعتبروا الحب متساوياً و مستقراً لمستويات الوجود و حتى متحدّاً معه. و بناءً على ذلك، فإنّ الله هو كل الوجود، كل الحُسن و كل الحب. يرى ملاصدرا أن الحب مسألة جوهرية و طريقة لوجود الإنسان. (خليلي، ١٣٨٢، ٢٩)

يعتبر الحب ظاهرة متضمنة في سياق الوجود البشري يجب دراستها في سياق أسسه الوجودية. الحب في كل المرحلة مزين بالنور الإلهي و له حكمة سامية. (امامي جمعه، ١٣٨٥: ١١٠) و بحسب ملاصدرا، فإن أصل جميع الحركات و السكنات في الكائنات العليا و السفلى هو محبة الله الواحد و الإله الصمد. (ملاصدرا، ١٣٨١ : ١٣٣) يعتقد صدرالمتألهين، لا يوجد كائن، ما لم يكن لديه حب فطري من الخير المطلق و النور النقي. حتى أنه يعتبر أن الله لديه حب بطبيعته.(مصدرالنفس ، ١٣٥٤: ١٥٢) الحياة و العلم موجودان و يظهران في جميع مستويات الوجود، و وجود الحب في جميع المستويات هو فرع من وجود الحياة و الوعي فيها. إن جوهر و وجود الله تعالى هو نفس

المعرفة و الحب و العاطفة، و بالتالي فإن ما ينبثق من جوهره هو الحب و العاطفة.(ملاصدرا،١٣٦٣: ٢٦٩).

الإمام الخميني (ره) مثل صدرالمتألهين، يعتبر استقرار نظام الخلق على أساس الحب. (امام خميني،١٣٦٠: ١٦٢) و هو يعتقد أنه إذا لم يكن الحب صحيحاً بطبيعته، فلن تدخل أي مخلوق إلى الساحة و لن تصل أي ظاهرة إلى الكمال المطلوب. (امام خميني،١٣٥٩: ٢٤١) نهاية الطموحات، نهاية المقدسات، نهاية الرغبات، مرجع الكائنات، محب الكون، حبيب عيشة، بشكل عام، موضوع الحب في الفلسفة النهج الغامض لملاصدرا و الإمام الخميني لهما علاقة عميقة مع بعضهما البعض. هناك أقاما علاقة لا تنفصم و مرسوماً لمظاهر الحب و الحب الحقيقي و الله.

في هذه المقالة، أثناء فحص مظاهر الحب و الجمال و علاقته بالله في سيرة كل من الصوفيين العظيمين في العالم الشيعي، نقارن هذين الرأيين لكشف الاختلافات و التشابه بين هذين الرأيين.

الحبّ

غالباً ما تكون كلمة «الحب» في محادثاتنا معادلة لمعنى كلمات الحب، الودّ، الخلّ، الولي، و إلخ؛ لكن معناه المصطلح هو الحب بطريقة متطرفة (الحب الشديد)؛

الحب هو عكس الكراهية و مرادف للودّ. هذه الكلمة في اللغة الفارسية تعادل الصداقة التي يوجد عليها استياء. Amor باللغة اللاتينية ، و Love باللغة الإنجليزية، و Amour باللغة الفرنسية. (صليبا، ٢٩١)

وفقا لأقوال بعض العلماء فيما يتعلق بتفسير جذر الحب، يمكن إجراء التقسيم التالي في هذا الصدد:

- الحبّ مشتق من حَبّ، و هو جمع حبّة، بمعنى حبوب القمح و الشعير و الحبوب الأخرى (و هي أطعمة)،
- و حبة القلب هو مكان الحب و الصداقة أو مركز الوجود، و هو نتيجة و ثمار القلب و العقل، مركز القلب و مظهره أو بقعة دم سوداء في وسط القلب.

- أو قد يكون الحبّ مشتقاً من الحبّ (بكسر الحاء) و يعني بذور الزهور و الرياحين الصحراوية. الحُبّ يسمّى الحِبّ لأنّه الدماغ و شفة الحياة، و الحُبّ يعني الحبيب و المحبوب بشدّة. (راغب اصفهاني،١٣٦١: ٤٢٨)

جذر كلمة الحبّ

يسمّى الحب، فرط المحبة (لسان العرب؛ سال: ٢٥١/٢) و العدوان من الحدّ في المحب (طريحي؛ مجمع البحرين: ٢١٤) و الذي يمكن اعتباره حسب الجذور العربية الحالات التالية:

- يؤخذ من الحُبّ، و هو قمة الجبل و أعلى نقطة، و إذا قيل أن شخصاً قد وقع في الحب؛ هذا يعني أن حبّه قد ازداد و وصل إلى أقصى حد. (طباطبايي:١٩)
- يؤخذ من العشقة، و هو نبات يلتف حول الشجرة و يأكل ماءها و يحولها إلى اللون الأصفر، ممّا يتسبّب في سقوط أوراقها، و بعد فترةٍ تجفُّ الشجرة نفسها. عندما يصل الحُبّ إلى كماله، فإنّه يستنفد القوى، و يعطّل الحواسّ، و يجعل العاشق فقدان الشهية و يحرمه من الطعام، و يفصله بين الحبيب و الشعب، و يصبح مريضاً أو مجنوناً، و سوف يهلك في نهاية المطاف. (دهخدا، ج١٠ ، ص١٤٠٢٤)

جذور الحُبّ في التصوف الإسلامي

ممّا لا شكّ فيه أن ما يسمّى الحبّ أو المودّة في التصوف الإسلامي له جذور قرآنية و تعاليم دينية. تعتبر محبة الحقيقة في القرآن الكريم، من أهم علامات و معايير الإيمان. يتحدّث القرآن علانية عن علاقة حُبّ بين الله و الإنسان: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ (البقرة/ ١٦٥) أو ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(المائدة/٥٤) بالإضافة إلى آيات القرآن، لدينا العديد من الأحاديث حول علاقة المحبة بين الإنسان و الله. بما في ذلك الحديث: «اَفضَل الناس مَن عَشق العبادة فعانقها و احبّها بقَلبه» أو الحديث: «كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ اَن اُعرفَ فَخلقتُ الخَلقَ لكي اُعرف» طبعاً هذا الحديث من الأحاديث المشهورة في كتب و أفكار الصوفيين و المتصوّفين. لذلك، كان الصوفيون المسلمون الذين جعلوا الحب مركزاً لسلوكهم الصوفي و فهمهم للحقيقة، كانوا تحت تعاليم القرآن و الأحاديث النبوية، و كان فهمهم للحب دينياً و قرآنياً في المقام الأول. (ميرجمال،١٣٩٤: ١)

وجهة نظر ملاصدرا حول مستويات الحب و المودّة

يعتبر ملاصدرا، الحكيم و الفيلسوف الإسلامي العظيم، الحبَّ مرادفاً. (صدر الدين شيرازي، ج ٧، ص١٤٩) و يعرّفها الفرح و الإبتهاج على أنّها بداية لشيء متفّق عليه، سواءً كان عقلانياً أو حسّياً، حقيقياً أو مشبوهاً.

يؤمن أن هناك محبة و الإشتياق للكمال في جميع الكائنات و أن الحبيب الحقيقي هو جوهر الحق – الله تبارك و تعالي-. (صدر الدين شيرازي، ج ٧، ص١٤٨)

يؤمن ملاصدرا بوجود و تدفق الحب في جميع الكائنات، بما في ذلك الحب في المادة (هيولا)، و أرواح النبات، و أرواح الحيوانات، و الأرواح البشرية، و العقول، و أخيراً جوهر الحرم الإلهي، يثبت الحبّ في كلّ من هذه المستويات. و على سبيل المثال، يثبت وجود الحبّ في القوى النباتية من خلال إثبات الحياة و العلم و تدفّقه في جميع الكائنات، و التي لم يتمّ تقديم أي دليل عليها. هو يعتقد أنّ الحكماء الذين آمنوا بتدفّق الحبّ في جميع الكائنات، في درجة من الوجود – و التي في رأيهم تفتقر إلى المعرفة و الوعي – قد جذبت حبّاً متسامحاً، لا الحبّ الجوهري. (ملاصدرا،١٩٨١؛ج٧: ١٥٦)

فيما يتعلق بمحبّة الحيوانات، يعتقد ملاصدرا أنه كلّما ارتفع ترتيب وجود الأشياء، كان أحبائهم أنقى و أكثر إشراقاً و أكثر لطفاً؛ لذلك فإن أفعال و تصرّفات القوى الحيوانية – بسبب كرامة الرتبة – أعلى من تصرّفات القوى النباتية. تكون إحدي أنواع الحب و العاطفة بين الحيوانات، هو حبّ الزواج و المتعة الجنسية و اللذات البهيمية، و حكمته هي بقاء الروح و الحفاظ على النوع.

إنّ روح الحيوان هي مجموع كل الكمال لروح النبات، و جميع القوى الثلاث في الأرواح النباتية – أي القوة الغاذية و الناميه و المولّدة – موجودة بشكل كامل في الحيوان و تحدّد شهوة الحيوان. العمل المنبثق من هذه القوى هو نفسه في النفوس النباتية و الحيوانية؛ و لكن في الحيوانات، يحدث بشكل أكثر دقة. لا يختلف محبي القوة الجنسية في الحيوانات عن محبي القوى النباتية إلا في اختلاف الترتيب الوجودي. (ملاصدرا،١٩٨١،ج٧: ١٦٥)

الحب البشري من وجهة نظر ملاصدرا

وفقاً لنظرية التشكيك في الوجود، يعتبر صدرالمتألهين أن الحب الإفتراضي للإنسان و الحب الحقيقي هو حقيقة مضاعفة، و يعتبر أن الحب الإفتراضي للإنسان أمر مرغوب فيه. و هو يعتبر أن محبة الصالحين أمر طبيعي و متواضع في نفسية العديد من القبائل و الأمم. (مصدرالنفس: ١٧١-١٧٩) يعتقد ملاصدرا، فإن هذا الحب الجسدي والعفيف في الإنسان هو أحد المدخلات الإلهية.

طبقاً للتشكيك في الوجود، فإن المعلول هو الترتيب الأدنى للعلة، و بالتالي فإن هذا الحب مرغوب أيضاً، و يستمتع معظم الناس بالنعمة و المعرفة بهذا الحب. بتعبير أدقّ، لا أحد يملك قلباً لطيفاً، و طبيعة دقيقة، و عقلاً واضحاً و روحاً نقية، لكنه لم يستفد أبداً من هذا الحب خلال حياته. (خليلي، ١٣٨٢ : ٢٢٦-٢٢٧)

يعتقد ملاصدرا، فإن الحبيب الإفتراضي هو وجه الحبيب الحقيقي، و لهذا السبب، فإن الروح البشرية، عن طريق حب الحبيب الإفتراضي، تؤدي إلى الحبيب الحقيقي المطلق الذي هو مصدر و وجهة كل الممكنات.

إذا كان ظهور الجمال الإلهي على هذا المستوى المنخفض من الوجود الإنساني يجذب الطالبين إلى هذا الحد، فكيف جمال الجوهر الإلهي و الضوء المشع الذي هو في النهاية عظمة. (ملاصدرا، ١٩٨١ ،ج٢ :٧٨)

كل كائن محتمل، مثالي بطريقة ما و فقر بطريقة أخرى؛ يحِبُّ الكمال الذي يحقّقه و هو متحمّس لما يفتقر إليه. هذا هو السبب في أنّهم حكموا تدفّق الحبّ في جميع الكائنات. الإنسان، لأنه لديه وصف مفرط للكمال و العاطفة و الرغبة، ليس له نهاية في شغفه و حبه. (ملاصدرا، ١٣٦٦ ،ج١ ،٨)

فيما يتعلق بحبّ وجود الحقيقة، يرى ملاصدرا أن جوهر الحقيقة له أعلى درجة من الحب لجوهره. (ملاصدرا، ١٩٨١ ، ج ٧: ١٤٩) الحبّ و الإبتهاج ليسا سوى فهم الخير و الكمال. جوهر الحق هو نفس الحسن و الكمال. إنّه حاضر مع نفسه و شهود على نفسه، و بهذا الوجود و الحدس يلاحظ كماله و جماله. لذلك، فالحقّ له أفضل و أكمل الحبّ و الإبتهاج في ذاته، و بالتالي يتمّ تحقيق أعلى مستوى من الحبّ في جوهر الحق. يقول: الحقيقة هي حق خالص، خير و وجود؛ هو أعظم الأشياء بعد كل شيء من حيث

السعادة و الحبّ لجوهره؛ لذلك هو الكائن الأعلى من حيث حب طبيعته و ضرورات طبيعته الخاصة. (مصدر النفس، ص١١٣)

إنّ محبة الحقيقة متأصلة في حبّه للكون كلّه. و وفقاً لصدرا، فإنّ حبّ الحقيقة لجميع البشر هو في حبّه لجوهره، كما أن معرفته بجميع الأشياء الكون متأصلة في معرفته. (مصدر النفس ، ص١١٧)

أنواع الحبّ من وجهة نظر ملاصدرا

قسم ملاصدرا الحبَّ إلى نوعين: أحدهما هو الحب الحقيقي و الآخر هو الحب الإفتراضي، و السبب في هذه القضية يعود إلى مستوى الحبّ و المودة في تفكير صدرالمتألهين. هو يعتقد أنّ الحب الحقيقي هو محبة الله و صفاته و أفعاله، و يقول: لأنّ جوهر الكائن الأسمى هو في الواقع شمولية كل الكماليات، فإنه يستحق أكثر أن يكون المحبوب و المرغوب فيه و الغرض من الكل و المطلق. (حكمه متعاليه،ج٧: ٢٥٢)

الحبّ الإفتراضي نفسه ذو شقين: الحبّ الروحي و حبّ الحيوان. أصل الحبّ الحيواني الشهوات الجسدية، و الغرض منه هو السعي إلى متعة الحيوان و إشباع رغبات المحبّ، و ينشأ منه العنف و الجريمة. لم يخرج الإنسان من نفسه عندما كان تحت تأثير شهواته. يريد الشخص و الأشياء التي يحبّها لنفسه فقط، و إذا فكر فيه، فهذه هي الطريقة التي يمكن أن يستفيد بها من وصاله و يستمتع بها على أكمل وجه، و إذا كان يشعر بالغيرة منه، فإن حماسته حيوانية و تعوق نمو و تطور حبيبه. إنه لا يريد أبداً تكامل و تعالي الحبيب.؛لأنه قلق دائماً من فقدانها. هو دائماً ملتهب و مكتئب، يفكّر باستمرار في الإستحواذ على الحبيب، و أحياناً يتصرّف بشكل غير لائق و غير معقول.

يذهب إلى حدّ عدم الخوف من إيذاء حبيبه. مثل هذا الحب، عند الوصول إلى الحبيب و الماضي، يترك الأيام باردة و يتحول أحياناً إلى استياء وكراهية، لدرجة أن الحبيب قد يصبح أسوأ عدوٍ له. (هخمان،ج٧: ١٧٦)

في المقابل، الحبّ الروحي هو حبّ نقيّ و خالٍ تماماً من الشهوة و المنفعة. هذا النوع من الحبّ يخرج الإنسان من الأنانية و يكسر هذا الحاجز. يطور وجود الحبيب و يغيّر تركيز وجوده. هذا النوع من الحبّ يجعل الروح ناعمة، هادئة، لطيفة، تمتلك النشوة و الحزن و البكاء و الشفقة. في هذه المرحلة، يرسم العاشق المفتون صورة رفيعة و كاملة

عن نفسه لحبيبه، و لم تعد حواسه حساسة لآثار حبيبته. في هذا النوع من الحب، و الذي يسمّى أيضاً الحبّ الخيالي (طباطبائي،١٣٩٢: ١٢)، لا يقلق العاشق من فقدان حبيبته و التخلي عنها؛ لأنّ الحبيب دائماً معه؛ لأنّ وجه الحبيب خلد في عالمه الخيالي و تبلور في وجوده، و يعتبر هذا الخيال طريقة التعويض عن الانفصال و المسافة. لذلك، لم يتمّ فصله عن عشيقته الخيالية، و يذهب إلى حدّ جعل الخيال المحبوب أكثر حبيباً و أعز من المحبوب نفسه. يقتبس ملاصدرا قصائد محي الدين العربي الذي يشير إلى هذا النوع من الحب، و هو الحب الروحي غير الحب المادي و الجسدي. (حكمه متعاليه، ج٧،ص ١٧٩)

الحبّ الإلهي و تدفّقه في جميع المخلوقات من وجهة نظر صدرالمتألهين

أقام صدر المتألهين، كممثّل بارز للفلسفة الإسلامية، علاقة عميقة من الحب المطلق و الجمال. لفحص هذه العلاقة، يجب علينا فحص وجهة نظره عن الحب أولاً. يعتقد ملاصدرا أنّ الحبّ هو الإبتهاج ببداية الخير و الجمال و الكمال. يكون لكل مخلوق، حسب رتبته الوجودية، الكمال الخاص و الحب الطبيعي أو الحيواني أو العقلي. (صدرالمتألهين ، ١٤٢٠ق، ١٧٥)

المفارقات العقلية، من حيث أن لديها الكمال بالفعل، و ليس لديها الرغبة في تحقيق الكمال، و هي متحمسة فقط لكمالها. لكن كائنات أخرى من الإحتمالات الذين لديهم قوة الكمال، بالإضافة إلى حبّ ممتلكاتهم المتناسبة، لديهم رغبة طوعية أو طبيعية لتحقيق الكمال وفقاً لترتيب وجودهم. (صدرالمتألهين، ١٤٢٣، ق ج ٧ ص، ١٣٧) لذلك، يشمل الحب العاطفة، و بالتالي، في الواقع، كل كائن ممكن يقع في الحب بسبب نفسه.

نظرة مختصرة على الأفكار الصوفية للإمام الخميني

كان الإمام الخميني صوفياً تسبّب بُعده الصوفي و سلوكه الشامل و الكامل في أن يعيشوا حياة مباركة و أن يكون قادراً على اختراق قلوب و أرواح الملايين من الناس الذين هم على حق و شغوفين بالحقيقة و يوجهونهم في اتجاه الخير و المسار المستقيم و توجيه الوعي و العدالة. وفقًا لأحد العلماء المعاصرين، بفضل إيمانه و تصوفه العلمي و

العملي و موافقات الله سبحانه و تعالى، هو من يحيي التصوف الأصيل، و أيضاً هو الأستاذ المسلّم و خاتم الحكماء و الصوفيين في العصر الحالي. (قيصري،١٣٧٥: ٣٣)

يشكل القرآن و الصلاة و أئمة المعصومين (عليهم السلام) أساس تصوف الإمام الخميني (ره). و من ثمّ، فإنّ صوفية الإمام الخميني لها مبادئ مختلفة و فريدة. لقد كان مستقلاً بطرق مختلفة؛ كالإستقلال في التصوف. كتب الإمام في كتاب «آداب الصلوة» على النحو التالي: الرسول الحقيقي ليس لديه استقلال، بل هو آية و مرآة و ممثّل، لذا فإن الهجرة إليه هي الهجرة إلى الحقيقة. (امام خميني، ١٣٧٨: ١٦٢)

في مجال التصوف و في بعض مقاطع كتبه، مثل «آداب الصلوة»، يعتبر الإمام الخميني (ره) الإستقلال في الأفعال بمثابة الشرك، باستثناء الحصر من تعدّد أفعال الله سبحانه و تعالى، و استخدم الجملة التالية عدة مرات: «بهذه الشهادة يجب على السالك أن يكسر حجابه المظلم و يفتح أبواب الجنة لنفسه و يخطو من حجاب «الاستقلال» العظيم، بحيث يكون طريق الصعود أقرب إلى الصعود القريب.» (مصدر النفس ،١٣٤)

قدم الإمام الخميني (ره) مع أوضح التعبيرات و أكثرها صراحة، أصل التصوف الحقيقي كتعاليم سامية للقرآن و صلاة الأئمة، و أكد على هذه المسألة في آثاره.

هو يعتبر التغيير الأكبر الذي أحدثه القرآن في العالم كتغيير صوفي و يقول: «إن التحول الروحي و الصوفي الذي تمّ العثور عليه من خلال القرآن، هو قبل كل شيء، و بالإشارة أيضاً إلى حرق كتب الصلاة و الكتب الصوفية من قبل أحمد كسروي، نصح الجميع بأنّه لا يجب أن يتأثروا أبداً بكتاب مثل أحمد كسروي، مع الروحانية و التصوف الإسلامي الحقيقي للقتال و أكّد أنه من المؤسف أنّ المراكز العلمية و الأشخاص الموهوبين الذين يدرسون في هذه المراكز محرومون من التعاليم الروحية للتعاليم الإسلامية.» (محمدي و همكاران،١٣٩٩: ١٣٣)

الحبّ من وجهة نظر الإمام الخميني (ره)

يعتبر الإمام الخميني (ص) استقرار نظام الخلق على أساس الحب. (امام خميني،١٣٦٠: ١٦٢) و هو يعتقد أنّه إذا لم يكن الحبّ الأصيل الإلهي، فلن تدخل أي مخلوق إلى الدنيا و لن تصل أي ظاهرة إلى الكمال المطلوب. (امام خميني،١٣٥٩: ٢٤١) إن نهاية التطلعات، و القداسة المطلقة، و نهاية الرغبات، و مرجعية الكائنات، و معشوق

الكون، و أحب المحبين، و المرغوبين من المحبوبة، هي الجوهر المقدس لحضرة الحق. (امام خميني،١٣٦٠: ١٤٧) الإفتتان و التعلق القلبية و الحبّ الكامل للعاشق تجاه المعشوق هو مظهر من مظاهر وجود الحبّ. على الرغم مِن أنّ المصطلح يستخدم لإهتمام شديدة للغاية؛ و لكن ما يبدو مهمّاً هو تحديد الغرض الرئيسي منه؛ أي ما إذا كان الحبيب هو «ما» أو «من»، و الإعتراف بهذه القضية مهمٌ جداً و حاسِمٌ.

يقول الإمام الخميني (ره) عن «الحبّ»:

و مـا رفـع علـم الحـب في عـالمين الثقلان و الملك غادروا في متاهة الحب

(ديوان امام، ص ٢٩)

و يقول أيضاً:

حاشا لله، سوف نذهب في الاتجاه الآخر الحـب عليـك متأصـل في أزهـري و ميـاه

(نفس المصدر ، ص ٥٧)

و يقول:

إذا نشر الحب جناحيه، فـــإنه يحكم العالم فـإن التأثير في هذا العالم و مكانه الحاكم

لا يوجد جسيم للعالم لا يـــوجد فيه حب تبارك الله الذي يحكم من جهة الى أخرى

إذا تلمعت ذات يوم من حجـــاب الغيب يـــــرى الجميع أنه يحكـم في الغيـب

هناك الحجاب عليك مـــن الجسد و العقل يحكم على كـــــل الجسم و العقل

لِمَ يمكنني أن العالم ليس سوى شعاع من الحب ذو الجلالـي هـــــو حـــاكم عصـره

(نفس المصدر ، ص ٦٢)

ليس فقط الإنسان في الحبّ، و لكن كل جزيئات الكون في الحبّ. لذلك، يجب أن يقال أن العالَم كلّه يحبّ ذلك الجميل و يسبّحه؛ و مع ذلك فإنّنا نعتبر الكثير منهم بعيداً عن أي وعي؛ ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.(الاسراء، ٤٤)

يقدم الإمام الخميني (ره)، مثل ابن عربي، الحب في مجالين. الحب ينسب للانسان و الله بنسبة ليس يدري علمنا ما هي. (مصدر النفس ، ج ٢، ٣١٥) عندما يتمّ تقديم

الحبّ كصفة من سمات الله، فهو صفته المتأصلة، و بما أن هذه الصفة المتأصلة هي عين الغيب، فإنّ حقيقة الحبّ غير معروفة. (طباطبايي، ١٣٨٠: ٦٩)

في هذا المجال يكون الحبّ هو سبب ايجاد البقاء و عامله. **و لولا ذلك الحبّ لما يظهر موجود من الموجودات و لا يصل أحد الي الكمال من الكمالات فان بالعشق قامت السموات**).«مصباح الهداية الي الخلافة و الولاية ص ٧١) لهذا ينشد الإمام الخميني (ره):

أن العالم ليس سوى شعاع من الحب نحن جميعا في حالة سكر منذ البداية

(ديوان اشعار، ١٧٩)

الحبّ البشري؛ هذا الحبّ تسبّب في ظهور التعددية في العالم، كما يستخدم الحبّ كسمة للبشر. في هذا المقام، حقيقة الحبّ هي النار التي تنبثق من قلب الحبيب و تشمل كيانه بالكامل. **(سرالصلوة :١١)**

لماذا كان الحب دموياً من البداية؟ و لكن ما الذي يمكن عمله أن طريقة الحب هي طريقة خطيرة بشكل رائع و لا يمكن لأي شخص أن يخطو إلى هذا الوادي؟ إذا اعتقد حافظ أن الحبّ كان سهلاً أولاً و اعتبر اكتساب الحب سهلاً، لكن الإمام الخميني (ره)، على عكسه و مثل مولوي الرومي يجد الحب متمرّداً و دموياً منذ البداية:

قلت منذ البداية أنني رأيتك أنا لا أفعل هذا مثل الملأك

(ديوان امام ، ٦٨)

الحبّ فطري؛ النقطة المهمة التي يقولها الإمام الخميني (ره) هي أن الحبّ شيء طبيعي و لديه كل الكائنات. في الواقع، إن حبّ الكمال المطلق هو في صميم الجنس البشري كله من سعيد و شقي و العالم و الجاهل و العالي و الداني. و إذا كان الإنسان في كامل الجنس البشري يستكشف و يتجول و يفحص جميع القبائل المختلفة و الأقوام المتفرقة في العالم، فلن يجد شخصاً، وفقاً لمبدأ خلقته و فطرته، و لا يدرك الكمال و يحبّ الخير و السعادة. (شرح جنود عقل و جهل، ٧٧)

يكون جميع البشر في حالة سكر مع الحب، أنشد الإمام الخميني (ره):

جزيئات الوجود تحبّه بطبيعتها يثنون عليه

(ديوان اشعار، ٣١٢)

لماذا جوهر الحبّ نادر و معظم الناس محرومون منه؟ يعتقد الإمام الخميني (ره): بسبب وجود الإنسان في عالم الطبيعة و الاهتمام بالدنيا، فإن القيود و الظلام و الإضطراب تغمر روحه و تأخذه بعيداً عن طبيعته الأصلية. (شرح حديث جنود عقل و جهل ص ٧٨)

و تجدر الإشارة إلى أن الإمام (ره) يعتبر أن البشر لديه فطرتان رئيسيتان و ثانويتان. الفطرة الرئيسية هي حبّ الكمال و الفطرة التبعية هي الكراهية و البغض للعيوب. (نفس المصدر ، ٧٦- ٧٧)

حبيب الإمام الخميني

من هو حبيب الإمام؟ هل يؤمن و يوصي بالحبّ الإفتراضي في السلوك؟ و الحقيقة أنّ الحبّ الإفتراضي، على الرغم من أنّه يلعب دوراً مهماً و أساسياً في أعمال الصوفية، لم يتم ذكره كثيراً في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، و لا يوجد أثر له في سلوكهم الصوفي. ربّما يمكن ذكر بعض الأحاديث في رفض هذا الحب، كمثال عن الإمام علي (ع) قال: «العشق مرض لي‌س فـي‌ه أجر و لا عوض.» (ابن ابي الحديد،١٣٧٨ :٤٦٠)

لا يعتبر الإمام ، بصفته فقيهاً و صوفياً شيعياً، نفسه يتحدث عن هذا الحبيب. في الواقع، حبيب الإمام صوفياً تماماً. إنّ محبة الدين الحبيب تشير بالطبع إلى القبلة:

اجلبوا هذا العباءة القذرة و كسر هذا الصنم
إنزل فـــــي الحب الذي يمثل القبلة

(ديوان اشعار، ص ٤٩)

محبة مثل هذا الحبيب تدمر وجود العاشق:

أنا عبد حبٍّ شخص لديه روح مسيحية
بنعمـــــــة خطوتـــــه دمرت

(نفس المصدر ، ص ١١٤)

محبة الحبيب عظيمة لدرجة أن الآخرين لا يستطيعون فهمها. في الواقع، حزن الحب جميل و ممتع أيضاً:

فرحة الحب لا تعرفك سوى العاشق الحزين

لا يعرف معـاناة الحزن اللطيفة إلا المجنون

(نفس المصدر ، ص ٩٨)

أيّاً كان الحب يقول، العاشق، عندما يسلم سلطته إلى الحبيب و يتعجب به و ينبهره تماماً، ليس لديه إرادة أو سلطة خاصة به، و الحب هو الذي يحكمه:

مهما قال الحب، مهما كان، فإنه يجعل الحب

مـــــاذا أقول ، ماذا أفعل ، ليس لدي أمر

(نفس المصدر ، ص ١٥٠)

و لكن بأي وسيلة يمكن للحكيم أن يعرف الحبّ و ينجذب إلى هذا الوادي؟

الحقيقة هي أنه لا توجد حجة يمكن أن تقود الآخرين إلى الحب؛ لأن العقل الملائم و العقلاني لا يستطيع قبول شجاعة طريق الحب و مخاطره؛ لهذا يقول الإمام:

أنا أحبـــــك، ليس سوى حبك في يدي

أنا أحبك ، ليس لدي أي دليل آخر غير حبك

(نفس المصدر: ١٢٠)

و لهذا يحذر أولئك الذين ليسوا مستعدين للموت و الفنا في طريق الحبيب، لدخول عالم الحبّ:

إذا كنـــتَ لا تنوي الحب و ليس لك طريقه

اذهب في طريقك وعهد بطريق الحب للعشاق

(نفس المصدر ، ص ١٢٤)

واحدة من الخصائص المتأصلة و الطابع الأخلاقي للإمام الخميني (ره) كان حب الخالق و حب المخلوقات. هذا الصوفي الحكيم يطفئ نيران الحب الإلهي بأشعار صوفية. اعتبر نفسه محباً أحبه، مثل الشمعة، حرق كأنّه فراشة و جعله مريضاً و مؤلماً. كان فخوراً بهذا الموقف و لم يعتبره مشابهاً و متساوياً لأيِّ شيءٍ:

يا صاح ، أنا عالق في زاوية فمك

رأيت عينيك المريضة و مرضت

(ديوان امام؛ غزل «چشم بيمار»، ص ١٤٢)

يؤمن الإمام أنّ الحب يمكّن الحبيب و يجعله مبدعاً. لأن النار تتخلّل وجود الحبيب و يطهره من النقص و الإضطراب و التعدّدية و الأنانية. يعتقد الإمام في القياس مع الحب و العقل، فإن الصحوة الحقيقية و وعي الفكر هو النعاس و السكر؛ لأن سكر الحب هو وعي حقيقي:

نخلص من سكر العقل و نراقب أنفسنا

لنستيقظ مـــــــن كأس المخمور

(نفس المصدر ، ص ١٧٠)

الحب يدمر الأنانية لساك العاشق و يزيل كل القيود التي سيطرت عليه:

أعطـه النبيذ لتحرير روحي

ليأخذ قيادتي وينهار مقامي

دارالجنون للحب؛ يمكن أن يسمي دائرة الحب دارالجنون. أنشد الإمام (ره):

أغلـــــــق طريق الحكمة من دير القلب بالنبيذ

ان هذا البيت المجنون لن يكون ابدا مكان العقلاء

لأن طالب الحب المجنون يسعى للقاء حبيبه و يفعل كل شيء في لحظة اللقاء، محاط بفراشة الصفة:

فـراشة الصفة ، أحرق مع تلك الشمعة

أنا مجنون وأنا في طريقي إلى الصحراء

و ألقى به وجوده على قدميه ، لا ، هل ذهب بعقله و جنّ؟:

طوبى لليوم الذي نكون فيه عاكفاً في الحانة

نـــــــــذهب بعقلنـــــا و نجـــنّ

يعلم أن العقل لا يقوده أبداً إلى الحبيب و يختار حتماً طريق الجنون و الحماقة:

خُـــــــذ طريق الجنون و الحماقة

اطلب صديقًا أو اذهب و تصبح عاقلاً

(ديوان امام، ص ٢٣٦)

ملاصدرا من وجهة نظر الإمام الخميني (ره)

المراسل يسأل الأمام الخميني (ره): «لدي سؤال شخصي ربّما أطرحه؛ ما هي الشخصية أو الشخصيات - في التاريخ الإسلامي أو غير الإسلامي - بخلاف النبي الكريم (ص) و الإمام علي (عليه السلام) التي أثرت عليك؟ و ما هي الكتب الأخرى غير القرآن التي أثرت عليك؟». يقول الإمام الخميني (ره) رداً على سؤال المراسل: «لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال الآن، و لست بحاجة للتفكير. لدينا كتب كثيرة. ربّما يمكن أن يقال في الفلسفة: ملاصدرا، من الكتب الإخبارية: شيخ كافي، من الفقه: الجواهر. علومنا الإسلامية غنية جداً. لدينا الكثير من الكتب. لا استطيع الإحصاء لك.» (صحيفه امام، ج٥، ٢٧١)

كما قدم الإمام الخميني في تعليقه على أربعين حديثاً عرّف ملاصدرا على أنّه فخر للشيعة و منحه اللقب التالي: «سعادة باحث الفلاسفة و فخر قبيلة حقّاً، صدرالمتألهين، رضوان اللّه عليه.»

كتب آية الله سيد أحمد الفهري في مقدمة ترجمة وصف صلاة فجر الإمام الخميني (ره) عن حساسية الإمام تجاه ملاصدرا: «(الإمام الخميني) من بين علماء و صوفيين الماضيين له اهتمام خاص بصدرالمتألهين و يعتبره عالماً و خبيراً فهم و تذوق العديد من التعاليم و حل المشاكل و القضايا. لقد سمعته يقول في أحد الأيام في الفصل تكريماً لهذا الفيلسوف الصوفي و فيما يتعلق بتقدير العلم و توبيخ الناس قصير النظر الذين يقولون باستمرار أشياء غير لائقة عنه: «ملاصدرا و ما ادريك ما ملاصدرا؟! لقد حلّ المشاكل التي لم ينجح بوعلي سينا في حلّها في مناقشة القيامة!»

النتيجة

وفقاً لنتائج البحث في دراسة عناصر الحب من منظور ملاصدر و الإمام الخميني، طوّر هذان الصوفيان العظيمان، على الرغم من أنّهما في فترتين مختلفتين من الفلسفة الإسلامية، وجهات نظرهما حول مفهوم الحب تدفّقه علم الوجود. لكن لديهما العديد من أوجه التشابه في نواح كثيرة، و التي قد تكون ناتجة عن العنصر الأساسي و الشهود في فلسفة كلتا الشخصية، و التي تنعكس بشكل جميل في نهجهم و رؤية الحبّ و مظاهره. في هذه الأثناء، في شرح الحب من وجهة نظر ملاصدرا- و خاصة الحب الإنساني - بهذه الطريقة، يستخدم صدرا اتحاد العاقل و المعقول و يصل إلى اتحاد

الحبيب و المحبوب. في نظره، الحبّ هو طريقة الإدراك التي تتحد فيها روح الحبيب مع وجه الحبيب. و من ثمّ، فإن الوجه الذي تتّحد فيه روح الحبيب ليس الحبيب العابر، بل الحبيب في الجوهر. وفقا له، الكون مستمدّ من مصدر، و الكائنات المادية، بمساعدة حركة الحبّ الجوهرية، تسير عبر الحبيب الحقيقي. وفقًا للحركة الجوهرية، فإن الحب متأصل – و ليس عرضياً- للحبيب؛ و مع ذلك، لا يمكن أن يكون هذا الأساس فعالاً في إثبات الحبّ في المجرّدات. وفقا له، فإن جميع المخلوقات هي بسبب نفسها بالضبط و ليس لديهم هوية مستقلة عن قضيتهم. و عليه، فإن المحبة في المخلوقات هي نفسها محبة جوهر الوحدة، وكل الأعمال الصالحة و البركات تنبع من جانب الوجود الإلزامي. لذلك ، نهاية الحب في الكائنات هي الجوهر الإلهي و ينظم شؤون الكون بالحبّ له. من هذا المنظور، تظهر نتائج البحث أنّه في معظم القضايا، تتشابه نظرة الإمام الخميني مع ملاصدرا فيما يتعلق بالمظاهر الصوفية للحبّ. و مع ذلك، يمكن استخدام تفسيرات مختلفة في بعض القضايا، و التي قد تكون متجذرة في تعلق الإمام، و حكمة الصدرة المتسامحة، و قبول أفكار ملاصدرا الصوفية، و التي بما يتناسب مع الفترة التي قضاها، وسعت جماليات مظاهر الحب و تعميقها.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- ابن سينا، حسين بن عبدالله، (١٣٧٥)االشارات و التنبيهات مع الشرح الطوسي، قم، نشر بالغت.
- امامي جمعه، سيدمهدي، (١٣٨٥فلسفة هنر در عشق شناسي ملاصدرا، تهران، انتشارات
- فرهنگستان هنر.
- خليلي، محمدحسين، (١٣٨٢)مباني فلسفي عشق از منظر ابن سينا و ملاصدرا ، قم، بوستان كتاب
- دهخدا علي اكبر(١٣٦٧) ، لغت نامه، زيرنظر محمد معين و سيد جعفر شهيدي ، ج١٠
- راغب اصفهاني، الحسن‌بن‌محمد(١٣٦١) مفردات في غريب‌القرآن،ترجمه غلامرضا خسروي حسيني، تهران، مرتضوي،
- سهروردي، شهاب الدين يحيي(١٣٧٢)مجموعه مصنفات شيخ اشراق، چاپ دوم، تهران، موسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي.

- طباطبايي فاطمه(١٣٩٢) ،سخن عشق(ديدگاههاي امام خميني و ابن عربي)، پژوهشكده امام خميني (ره) و انقلاب اسلامي، معاونت پژوهشي
- قيصري، محمد داود(١٣٧٥)، شرح فصوص الحكم به كوشش: سيد جلال الدين آشتياني، انتشارات علمي و فرهنگي
- محمدي، محمدحسن، افراسياب پور، علي اكبر، جوان آراسته، امير، خسروي، حسين. (١٣٩٩). عرفان امام خميني(ره) و نقد اشو .عرفان اسلامي.138-117 ,(63)16 ,
- محمد علي التهانوي، موسوعه كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، به تصحيح عبدالله الخالدي، ج٢ ، ص١١٨٢.
- ملاصدرا، صدرالدين محمد، (١٣٦٠) الشواهد الربوبية فى المناهج السلوكية، مشهد، المركز الجامعي للنشر، تصحيح و تعليق سيدجالل الدين آشتياني .
- ..... (١٣٥٤) المبدأ و المعاد، تصحيح سيدجالل الدين آشتياني، تهران، انجمن حكمت و فلسفه ايران
- .....(بي تا)المشاعر، اصفهان، انتشارات مهدوي
- .....(١٣٦٦)تفسير القرآن الكريم، قم، انتشارات بيدار
- ..... (١٣٧٨) رسالة في الحدوث، تهران، بنياد حكمت اسالمي صدرا .
- .....(١٣٨٣)شرح أصول الكافي، چاپ اول، تحقيق و تصحيح محمد خواجوي، تهران، مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگی
- .....(١٣٨١)كسر اصنام الجاهليه، چاپ اول، مقدمه و تصحيح و تعليق دكتر جهانگيري، تهران، بنياد حكمت صدرا
- . .....(١٣٦)مفاتيح الغيب، چاپ اول، مقدمه و تصحيح محمد خواجوي، تهران، موسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي
- . .....(١٩٨١م)الحكمه المتعاليه في االسفار االربعه، بيروت، دارالحياء التراث العربي
- ميرجمال اصغر (١٣٩٤)، حديث عشق، از سقراط تا امام خميني(س)، معناي عشق در گفت و گو با دكتر اصغر ميرجمال، پرتال اطلاع رسان امام خميني، نشاني اينترنتي: http://www.imam-khomeini.ir/fa/n45176/